وفى مجال تفنيد هذه المزاعم والافتراءات نختار اثنين من المستشرقين بسبب آرائهما حول الموضوع وليس بسبب آرائهما فى أى موضوع آخر .

يقول «مارسيل بوازار» : «.. لقد كان محمد «ﷺ» نبياً لا مصلحاً اجتماعياً، وأحدثت رسالته فى المجتمع العربى القائم آنذاك تغييرات أساسية ماتزال آثارها ماثلة فى المجتمع الإسلامى المعاصر »[١] .

ثم يستطرد مارسيل قائلاً : « مما لا ريب فيه أن محمداً « ﷺ » قد اعتبر، بل كان فى الواقع، ثائراً فى النطاق الذى كان فيه كل نبى ثائراً بوصفه نبياً، أى بمحاولته تغيير المحيط الذى يعيش فية »[٢] .

أما زعم «واط » أن محمداً «ﷺ» ماعتزل الناس فى غار حراء إلا تكفيراً عن بعض خطاياه، أو هروباً من حر مكة، كما صرح فى موضع آخر، فإن هذا مدفوع بما قدمناه من حقائق، وأيضاً بما يقوله المستشرق «هنرى دى فاسترى» الذى علل عزلة الرسول بالهروب (من عبادة الأوثان ومذهب تعدد الآلهة الذى ابتدعه المسيحيون، وكان بغضهما متمكناً من قلبه وكان وجود هذين المذهبين أشبه بإبرة فى جسمه «ﷺ »)[٣] .

مونتجمرى واط يكشف عن هدفه، فيقول عن كيفية من كيفيات الوحى فى الفترة المكية: «ولا شك أننا أمام تعبير داخلى من النوع الفكرى أكثر منه من النوع الخيالى، ولربما لم يصحب ذلك أية رؤية حتى ولو كانت فكرية»[٤].

ثم يتكلم «واط» عن كيفية أخرى ـ أكثر تطوراً من سابقتها ـ فيقول: إن «الوحى كان عندئذ كما يبدو من نوع التعبير الخيالى ولكنه مصحوب بدون شك برؤية عقلية أو خيالية لجبريل، ويوحى قول الحديث « على صورة إنسان » ... بأنها كانت رؤية خيالية »[٥] .

يريد المستشرق أن يقول : إن الوحى القرآنى ليس شيئاً خارجاً عن الذات المحمدية ، وإنما منها نبع ، لقد وصل المكر بهذا المستشرق الاعتماد على القرآن ليلقى بهذه الفرية، ولكن هيهات [٦] فاللقاء بين والتلقى كان يتم بين ذاتين: ذات النبى المتلقى،

١ ـ مارسيل بوازار : إنسانية الإسلام ص٩٩ ترجمة د، عفيفى دمشقية . دار الأدب . بيروت ١٩٨٠م
٢ ـ المصدر السابق .
٣ ـ هنرى دى فاسترى : الإسلام : خواطر وسوانح ص١٦ ، ١٧ .ترجمة أحمد فتحى زغلول باشا . مطبعة الشعب . القاهرة ١٩١١م وانظر : د. عماد الدين خليل : السابق ص٩٩، ١٠٨ .
٤ ـ محمد فى مكة ص٩٨ ـ٩٩ . ٥ ـ محمد فى مكة ص١٠٠ .
٦ ـ أنظر . منهج مونتجمرى واط فى دراسة نبوة محمد للدكتور، جعفر شيخ إدريس ص ٢٣١ (مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية جـ١) .